قراءة جديدة للقرآن: الهوية الذاتية للمرأة

تأليف

نعمت حافظ البرزنجي

نقله إلى العربية
أنس الرفاعي

ونقحته
نعمت حافظ البرزنجي

Woman's Identity and the Qur'an

A New Reading

Nimat Hafez Barazangi

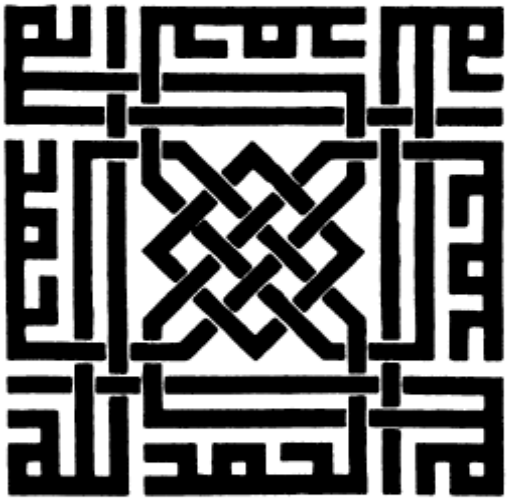

University Press of Florida
Gainesville · Tallahassee · Tampa · Boca Raton
Pensacola · Orlando · Miami · Jacksonville · Ft. Myers

Copyright 2004 by Nimat Hafez Barazangi
Printed in the United States of America on recycled, acid-free paper
All rights reserved

09 08 07 06 05 04 6 5 4 3 2 1

A record of cataloging-in-publication data is available from the Library of Congress.

ISBN 0-8130-2785-3

The University Press of Florida is the scholarly publishing agency for the State University System of Florida, comprising Florida A&M University, Florida Atlantic University, Florida Gulf Coast University, Florida International University, Florida State University, University of Central Florida, University of Florida, University of North Florida, University of South Florida, and University of West Florida.

University Press of Florida
15 Northwest 15th Street
Gainesville, FL 32611-2079
http://www.upf.com

إهداء

إلى والدي

ثانية البابا و حسني الحافظ

المحتوى

تصدير وشكر: قراءة جديدة للقرآن 6

مقدمة: القرآن والهوية الذاتية للمرأة 10

الفصل الأول: القراءة التربوية للقرآن 34

الفصل الثاني: الخصائص الدينية الأخلاقية العقلانية للقرآن وقصة الخلق 54

الفصل الثالث: الخُلُق المستقل ومبدأ الاحتشام 76

الفصل الرابع: المساواة بين الجنسين والتقوى 102

الفصل الخامس: الهوية الذاتية والتعلُّم الذاتي: نقلة في تطوير المناهج 124

الخاتمة: إلى أين ننطلق من هذه النقطة؟ 162

مراجع منتقاة (Selected Bibliography) 187

قراءة جديدة للقرآن: الهوية الذاتية للمرأة

تصدير وشكر

بسم الله الرحمن الرحيم

بالرغم من أن ميلاد فكرة هذا الكتاب والبحث الذي أدى إليها كانا في وقتٍ مبكرٍ من تسعينات القرن العشرين؛ فإن الهدف الذي يحمله في طياته أصبح في هذه الأيام يتمتع بأهمية تفوق الأهمية التي كان يتمتع بها في ذلك الحين، ذلك لأني لم أكن أتصور أن يندفع العالم نحو دراسة الإسلام، والثقافة الإسلامية، ودور المرأة في تحول المجتمعات المسلمة إلى مجتمعاتٍ "ديموقراطية". ويختلف القصد من هذا الكتاب وأهدافه بشكلٍ شاسعٍ؛ عما هيمن على الحديث عن الإسلام والمسلمين في العقدين الأخيرين داخل الأمة الإسلامية وخارجها؛ وهي الآفاق التي يمكننا أن نطلق عليها (المجتمع العالمي).

والهدف من هذا الكتاب – على نحو ما يوحي به عنوانه (**قراءة جديدة للقرآن**: **الهوية الذاتية للمرأة**)– إنما هو إبراز نقلةٍ نوعيةٍ في خطاب الدراسات الإسلامية، والدراسات ذات الصلة بالمرأة المسلمة، وفي أصول تعلُّم الإسلام وتعليمه، وهي نقلةٌ نظريةٌ وعمليةٌ في آنٍ واحد. وقد عمدت إلى استخدام كلمة (المرأة) بصيغة الإفراد كي أؤكد على أهمية إبراز كيان المرأة وتواصلها الفردي المباشر مع القرآن؛ لأنه المصدر الذي يُلزم إلى إحداث نقلةٍ لا مناص منها في خطابٍ كهذا، ولتكون فيه تلك النقلة منسجمةً مع الزمان والمكان.

إن التأكيد التقليديَّ السائد في أوساط المسلمين على تربية المرأة من أجل تهيئتها لأنْ تلعب مجرد دورٍ بيتيٍّ تكميلي يتناقض مع المبادئ القرآنية، و يتضارب مع الواقع الحياتي الذي تعيشه النساء المسلمات في بيئتهن من جهةٍ أخرى. كما أن افتقار المرأة المسلمة إلى كيانها، وتواصلها المباشر مع القرآن، كمصدرٍ لوجودها الاستقلالي الروحي والفكري، إنما يبرهن على أن مثل هذا الدور يتناقض مع المبادئ الإسلامية في العدالة، وفي الخلافة الإنسانية، وفي معنى التقوى. ذلك لأن التقوى هي الميزان الوحيد الذي يحدد الفروق بين الأفراد ومقدرتهم في تحقيق الهوية الإسلامية.

إن الواقع الذي تعيشه النساء المسلمات - على اختلاف صوره - يوحي بأنهن لا يؤهَّلن حتى من أجل الاضطلاع بذلك الدور التكميلي المفترض؛ وهو الدور المتمثل في تربية الأبناء المسلمين. ونلاحظ في الوقت نفسه أن تأكيد غير المسلمين على تطوير المرأة المسلمة المتحررة فكرياً واجتماعياً، ولكن بمعايير لا تنسجم مع المعايير الخاصة بالمرأة المسلمة، لم تصل إلا إلى حلولٍ مؤقتةٍ، كما أنها لم تخاطب قضايا المرأة الجوهرية. ومن هذا المنطلق، يسعى هذا الكتاب – عن طريق دمج قراءةٍ وتحليلٍ مدروسين للقرآن الكريم، بالإضافة إلى البحث والتمحيص التاريخي لتعلُّم النساء المسلمات في الإسلام؛ إلى إيضاح كيف أن الهوية الذاتية التي تمتع المرأة بكيانها، الذي هو حقٌّ طبيعيٌّ لها، والتعلُّم السامي الإسلامي التي يحق لها أيضاً أن تحصل عليه، يمثلان المستلزمين الأوليين لتحقيق التحول الاجتماعي والسياسي المطلوب.

أما الهدف الرئيسي من هذا الكتاب فهو تطوير كلٍّ من الجانبين النظري والعملي في تربية المرأة المسلمة، خارج نطاق خطاب السلطة الذكورية المطلقة الذي ينظر إلى المرأة على أنها حاملةٌ سلبيَّةٌ للثقافة. وإني لأدرك الخطر الذي يكمن في استخدام ما يُصنَّف بـِ (المرأة المسلمة)، لكن معالجتي لقضية ((الجنسوية 'Gender')) وقضية ((الانتماء الإسلامي)) بهدف تغيير ما تصنعه السياسة العالمية الذكورية المعاصرة يبرر استخداماً كهذا، وأُقبل على مناقشة القضايا التعليمية، والتاريخية، والنظرية التي تجعل مبادئ التربية في القرآن – التي تنبثق مما تمليه العقلانية الدينية الأخلاقية، المبنية على الضمير الواعي - أمراً واقعاً؛ بحيث يمكن للنساء المسلمات (أو الرجال المسلمين) أن يستخدموها في حياتهم اليومية من أجل التأكيد على هويتهم، وليتواصلوا ذاتيّاً مع مبدأ العدالة بين الذكر والأنثى، الذي يمثل الإسلام؛ ذلك لأن هذا الهدف يتطلب تعاملاً وتواصلاً مباشراً مع القرآن، ومعرفةً لمضامينه منطلقها الضمير الواعي، بالإضافة إلى الفعالية الاستقلاليَّة البعيدة عن أي شكلٍ من أشكال الوساطات الإنسانية.

وبناءً على ذلك لا أتوقع أن يتفاجأ أي قارئ عندما يرى أني أحاجج أن القرآن هو أصل الأنثوية الديموقراطية في معناها الأوسع، وأقصد بهذا رؤيةً خلاقةً تسعى إلى المشاركة الفعالة في عملية اتخاذ القرار في المجتمع؛ فالمرأة التي تختار بوعيٍ النظرة العالمية للقرآن لتحدد هويتها الأولوية التي تؤهلها لتحقيق العدالة بشكلٍ واقعيٍّ إنما تعزز هذا الإحساس الواسع بالأنثوية الديموقراطية. إنها تحرر نفسها على نحوٍ فعالٍ من قيد الجنس الذي تنتمي إليه أحيائياً (الذي غالباً ما يُحيل المرأة إلى لعب دور الزوجة أو الأم فحسب). وإذا ما انتقلنا من الخطابات التقليدية المتعارف عليها – التي تنضوي تحتها الخطابات الأنثوية التي

تحاول تحرير النساء من التكوينات الثقافية السائدة للجنس – إلى خطاب الاستقلال المعرفي والخلقي الإنساني، فقد نتمكن حينها من أن نسلط ضوءاً جدياً على فهمنا للمرأة المسلمة وثقافتها؛ وهذا ما سيساعد على توليد قراءاتٍ جديدةٍ لنصوص القرآن الكريم.

وإذا ما انطلقنا من أمريكا الشمالية – أي الولايات المتحدة وكندا – فإن القصد الذي يكمن وراء هذا الكتاب إنما هو بشكلٍ رئيسيٍّ التأكيد على القضايا الجوهرية ذات الصلة بمسائل تثقيف المرأة المسلمة (والرجل المسلم)، وصلة هذه المسائل بالنقاش المعاصر للإسلام، وقضايا النساء المسلمات، والتعليم الإسلامي فيما وراء الحدود الجغرافية والثقافية المألوفة لـِ ((العالم الإسلامي))، ووراء الحدود الجغرافية لـِ ((الديموقراطية العالمية)). وأقصد من هذه الرحلة المؤقتة ذات الحيز الفضائي من أمريكا الشمالية إلى آسيا الجنوبية مروراً بالشرق الأوسط، والتي بدأت في التسعينات من القرن العشرين واتجهت نحو الخلف في التاريخ إلى ما يقارب عام 623، أن أُظهر للعيان انعدام التطور الفعال في تثقيف الإناث المسلمات وأكشفَ عن المشكلة المستحكمة – الانعدام العام للهوِّية الذاتية والمبادرة القيادية للمرأة – ومضامينها ذات الصلة بإقامة العدل بين الجنسين. وهذا الكتاب فريدٌ وذو أهميةٍ نقديةٍ من ناحية الأسلوب الذي يمحص به الممارسات غير العادلة في الثقافات مقابل المبادئ القرآنية ذات الصلة بالعدالة والاستقلال الخُلُقي. كما يعلن هذا الكتاب تحديه للقراء في ميادين الدراسات الإسلامية، والتعليم الإسلامي والديني، والدراسات الأنثوية، ودراسات المناطق ، ودراسات التطور العالمي، ودراسات النساء المسلمات. ويهدف هذا التحدي إلى إعادة فحص المعايير الثابتة والمسلمات التي تضمها هذه الميادين، كلُّ ميدانٍ بما يخصه. وهو يدعو القارئ إلى حِوارٍ – هو بحاجةٍ ماسةٍ إليه – حول الآراء المسيطرة عن النساء المسلمات والدراسات الإسلامية بصورةٍ عامة. كما يتحدى هذا الكتاب صُناع السياسة – من خلال طرحه لخطابٍ مختلفٍ ذي علاقةٍ بدور المرأة في التفاعل الثقافي وفي الشؤون العالمية – للنضال من أجل فهمٍ لوجهة النظر الإسلامية من غير مواجهة عنيفة؛ ومن خلال الإيحاء بالانتقال من الخطاب المتعلق بجنس الرجل والمرأة إلى خطاب العقلانية الدينية الخُلُقية، سيحقق هذا العمل ذلك الفهم – المشار إليه آنفاً – ويستبقي من التوتر الضميري ما يكفي للحفاظ على التوازن بين القيم الإسلامية والأمريكية/الأوربية أثناء التماس مُواطنةٍ عالمية. ومن الأهداف التي وضع هذا الكتاب من أجلها أن يُستخدم كتاباً تمهيدياً في تدريس مواد حول الإسلام، وحول دراسات النساء المسلمات، والتعليم الدولي والمقارن، والدراسات الثقافية، وككتابٍ مرجعيٍّ للنساء المسلمات حول العالم.

وأود أن أتوجه بالشكر إلى جميع النساء المسلمات اللواتي ناضلن معي خلال السنوات العشرين الماضية، التي كانت مفعمةً بالنشاطات المشتركة في أعمال البحث الفعال. كما أرغب في التوجه بالشكر إلى الأشخاص الآتين نظراً لاهتمامهم ومساهماتهم الحوارية في النواحي، المباشرة وغير المباشرة، المختلفة التي يتطرق إليها هذا العمل خلال عمليات البحث والتطوير؛ وهم: خالي، زهير البابا Zuhair Al Baba، الذي يُعد مرجعاً فكرياً لا ينضب، وناصحي الأول في فلسفة الأخلاق الإسلامية، المرحوم عادل العوا 'Adel Al 'Awwa – وكلاهما أستاذان في جامعة دمشق، وأفراد عائلتي الأقربون – الذين يتوجهون إلى بأقسى الانتقادات والتأييدات: زوجي، معاوية برزنجي Muawia Barazangi، وابنتي، نُبل برزنجي Nobl Barazangi (التي تمثل دليلاً حياً على إمكانية أن ينشأ الإنسان ويترعرع ضمن المفهوم الإسلامي العالمي وهو في وسط المجتمعات الغربية)، وكوكو إليزابيت باتيغ فون وتلسباخ Koko Elizabeth Battig von Wittelsbach، وميسم الفاروقي Maysam al Faruqi، وراحيل هان Rahel Hahn، ومهجة قحف Mohja Kahf، و(المرحومة) شريفة الخطيب Shareefa Alkhateeb، وحنان لحام Hanan Lahham، وجودت سعيد Jawdat Sai'd، ومحمد شحرور Muhammad Shahrur، وجزيلا ويب Gisela Webb، الذي يعجز القلم عن وصف دعمهم الفكري والروحي بكلمات. ومما لا أستطيع أن أقدره بثمن تلك التعليقات التي أتحفني بها المراجعون الرسميون الثلاثة – الذين من ضمنهم تشارلز بَتَروُرث Charles Butterworth، واثنين آخرين غير مذكورَي الاسم – على المسودات المختلفة لهذا المخطوط. كما سابَقَ كل من جولي كوبنهاغن Julie Copenhagen، و مايكل إنغل Michael Engle، وروبرت كِبّي Robert Kibbee – في مكتبة جامعة كورنيل – دعوة الواجب لتقديم الدعم لهذا العمل. ومما لا يُقدر بثمنٍ أيضاً تحرير جودي هيلي Judy Healey للمُسوَّدة الأولى، والمقترحات التحريرية والفكرية التي تكرمت بها كوكو إليزابيت باتيغ فون وتلسباخ، على المُسَوَّدة الثانية. كما أضفى معاوية برزنجي وراحيل هان وجزيلا ويب على هذا العمل مزيداً من التركيز عندما قرؤوا أقساماً مختلفةً من مُسوَّدته النهائية. وأقدم جزيل شكري إلى آمي غورَليك Amy Gorelick (محرِّرة المكتسبات) وسوزان ألبوري Susan Albury (محررة المشروع) في مطابع جامعة فلوريدا. ولولا اهتمام آمي ودعمها لي، والمساعدة الدؤوبة والمهنية المتقنة اللذان بذلتهما سوزان في عملية تحرير المخطوط النهائي، ما كان كُتب لهذا العمل أن يُبصر النور.